المشرق

الذكرى الخمسيني لوفاة السيد

اغناطيوس انطون سمحيري

بطريرك السريان الانطاكي (١٨٦٤-١٩١٤)

بقلم القس اسحق ارملة السرياني استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين

في غرّة القرن التاسع عشر لاح في افق البيعة السريانيّة كوكب ساطع بزغت اشعّتهُ الوهّاجة في وسط غيوم داجية وسُحب حالكة فأضاء سريان المشرق بنورهِ الثاقب وجلا عن بصائرهم غشاوة البدع وقشع عن ابصارهم غياهب اليعقوبية ونشر على افئدتهم انوار الديانة الكاثوليكيّة ومهّد لهم السبيل للسير في طريق الهدى والتملّص من مزالق الضلال والردى. ألا وهو السيّد « انطون سمحيري الموصلي بطريرك السريان الانطاكيّ » الذي قضى ستًّا وعشرين سنة مُتمسكاً بظلام المذهب اليعقوبيّ يعادي من يعاديهِ ويحامي عن مباديهِ حتى مسّت قلبهُ النعمةُ الالهيّة وادركتهُ العناية الربّانيّة فانقلب من ذئب الى خروف وديع اذ تبلّج لهُ الايمان الصحيح واتّضح لهُ الحق الصريح. ولمّا اختمرت عزيمتهُ على الانسلاخ عن ظلمات اليعقوبيّة والمجاهرة بحقائق الديانة الكاثوليكيّة ترادفت عليهِ الخطوب والنوائب وانهكتهُ الكروب والمصائب وهاجت عليهِ زوابع الاضطهاد وتوطّن السجون وألِفَ الشدائد فاصطبر عليها بقلب جريء وما عتمّ ان استفاض نورهُ وراع الابصار وانبجست اشعّة فضائلهِ في الامصار وتناقلت الالسن ذكر ما حازهُ من النبلة

والانتصار . وقد رأينا ان ننشر على صفحات المشرق الاغرّ سيرة حياتهِ اقراراً بمواقفهِ ومبرّاته وتخليداً لذكرهِ وحسناتهِ

ولمّا كان القرّاء في عصرنا يرومون الوقوف على اصدق الآثار وأصحّها رأينا ان ننقل سيرة هذا الحبر المغبوط عن نبذة رقمها بخطّ يدهِ بحروف كرشونيّة في باريس سنة ١٨٥٥ اجابةً الى طلب الفرنسويين . وقد نُقلت تلك النبذة الى لغات شتّى وذاعت في بلاد اوربة . واننا نشكر لسيادة المطران يوحنّا معمار باشي حميم الشكر على صيانتهِ هذا الاثر العزيز واتحافه اياانا بهِ وقد اشرنا الى ما نقلناهُ منهُ بهلالين مزدوجين « »

١ ترهّب السيّد سحيري وكهنوتهُ

ولد هذا الحبر الجليل في الموصل في ٣ تشرين الاوّل سنة ١٨٠١ من أبوَين يعقوبيَّين . ولمّا بلغ الثامنة عشرة ودّ ان ينخرط في السلك الرهباني والزهد في الحطام الدنيويّ وقصد دير مار بهنام الشهيد مع رفيقٍ لهُ اسمهُ عيسى محفوظ فرقّاه استف الموصل عزّو نقّار الى الدرجة الدياقونيّة وما كاد يمرّ عليهِ العام في ذلك الدير حتى هجم العربان عليهِ ونهبوا مؤونتهُ لسبب القحط الذي حدث في تلك النواحي . فاضطرّ انطون ان يهجر الدير ويشخص الى دير الزعفران المجاور للاردين صحبة رفيقهِ عيسى لينجزا فيهِ درسهما وكان يقيم فيهِ حينئذٍ رئيسهما سابقاً برجس سيّار الحلبيّ الذي اختارهُ اليعاقبة بطريركاً في ١٦ اذار سنة ١٨١٩ . فلمّا حصلا بين يديهِ توسم فيهما النجابة وقرأ على محيّاهما آيات التُّقى والفضل ورقّاهما من فوره الى الدرجة الكهنوتيّة في ١٥ آب سنة ١٨٢٢ بعد ان شنّع عليهما الايمان الكاثوليكيّ المقدّس وتعهّدا لهُ بالثبوت في اليعقوبيّة والمناضلة عنها والمعاداة لكل من يخالفها . ثم اناط بهما البطريرك وكالة دير الزعفران وأطلعهما على اسرارهِ . فاخذا يسعيان بنجاحهِ عدّة سنين حتى رابهما امرُ البطريرك فآثرا معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة كما سنرى

وذكر السيّد سحيري ان ما اضطرّهُ لنبذ المذهب اليعقوبيّ ظهوريًّا هو مسئلة الميرون الذي يزعم اليعاقبة المتأخرون ولاسيّما السذّج بانهُ يفيض ويفور من تلقاء ذاتهِ وقد اورد رحمهُ الله خلاصة تلك القصّة المضحكة المبكية اكثر من مرّة لجملة من

الاساقفة والاقليروس والشعب قال: «كان البطرك يرجس سيّار اصطفاني كاتباً لسرّه وخصّني بمسحة زيت الميرون وكشف لي سرّ فيضانه الغامض. وذلك انهُ لمّا كان يطوف بزجاجة الزيت في مصلّى الدير مع اقليروسه دفعتين حسب الطقس كنتُ اتروي وراء المذبح فاتشاغل بغلي البلسم في اناء نحاس. وعند التطواف الثالث كنتُ احمل ذلك الاناء واغطّيهِ ببدلتي حتى اصل الى البطريرك فادخل القبّة واسكب البلسم في الزجاجة فيغطس البلسم ويطفو الزيت فيتدفّق في الاناء وتخرج رائحتهُ وكنتُ اخرج بعد ذلك من القبة وأُنادي امام الشعب قائلاً: قد حلّت نعمة روح القدس هالويه: وكانوا يكشفون غطاء القبّة ويكتلون التطواف الثالث ويضمون الزجاجة امام جمهور الشعب فيتدفّق منها الزيت على الطبق. وكان البطريرك يبلُّ بالميرون طرف منديل ويهديهِ الى الضبّاط والجنود والى من حضر معهم. وكان احد القسوس يدهن بهِ جبين الشعب اجمع والى جانبهِ صينيّة يلقي فيها الدراهم كلٌّ على قدر طاقتهِ»

ثم ان البطريرك اوفد الراهبين انطون وعيسى الى الموصل سنة ١٨٢٣ ليجمعا لهُ الزكوة طبقاً للعادة الجارية عند اليعاقبة حتى يومنا. فسارا لقضاء امره واتفق انهما حلّا يوماً كنيسة السريان الكاثوليك المعروفة بالطاهرة في الموصل وشاهدا الاسقف بشارة اخطل راعيهم (+ ١٨٢٨) يقيم القدّاس سرّاً فتمثّلاه مليًّا وانذهلا من خشوعهِ وورعهِ وتمجّبا من شديد اجلالهِ للسرّ الرهيب الاقدس فأضمرا ان يعرضا عن اليعقوبيّة وينضمّا الى الكنيسة الكاثوليكيّة. بيد انهُ لم يَبُح احدهما للآخر بذلك الفكر الّا بعد ان انجزا بغيتهما هذه الصالحة. ولمّا اقاما زمناً في الموصل وجمعا ما جمعا من الزكوة كرّا راجعين الى ماردين فاستقبلهما البطريرك بسرور واثنى على نشاطهما وخدمتهما واخذ ما جمعا من المال وسار الى ديار بكر

٢ مطرانيّة السيّد سمحيري

وعام ١٨٢٦ اوفد البطريرك فانتدبهما الى ديار بكر ورقاهما الى الدرجة الاسقفيّة وسمّى السيد سمحيري يوليوس انطون وخوّله ادارة شؤون الكرسيّ البطريركي ودعا رفيقهُ غريغوريوس عيسى وقلّدهُ الرئاسة على كرسيّ اورشليم وامرهما بالقفول الى ماردين واستنهض همّتهما ليعتنيا بالجماعة ويحرصا عليها فارتسما امره وانقلبا

راجعين . وكان البطريرك اليعقوبي اذ ذاك صارفاً نظرهُ الى معاداة سريان ماردين المتكثلكين فوافقهُ الاساقفة في فكرهِ ونويا التنكيل بهم . بيد ان شدّة التهديدات وحركة الاضطهادات لم تكن لتزيد المرتدّين الّا الثبات في ايمانهم والتنافس في حفظ شرائعهِ ونواميسهِ المقدسة . وكان السيد يوياقيم طازباز مطران الارمن (+١٨٣٦) يعزّيهم في كربتهم ويسرّي عنهم غمومهم ويقبلهم في كنيسته بترحاب وهشاشة ويوصي فيهم احد وجوه ملّتهِ الخواجا الياس شادي († ١٨٣٢) ليحامي عن حقوقهم بجاههِ ونفوذهِ لدى الحكّام

امّا بطريرك اليعاقبة فلم يكن يفتر قط من معاداتهم ورد عهم عن التردد الى كنيسة الارمن بغية ان يفتّ في عضدهم ويضعضعهم فيعودوا الى اليعقوبيّة . ولكنهُ لم يَحْلُ منهم بطائل . على انهم لمّا دبّ الفشل فيهم وملّوا السجون والخسائر الباهظة كتبوا الى غبطة البطريرك بطرس جرره (+ ١٨٥١) والى الاسقف بشاره والسيد بطرس كپري (Mgr. Pierre Coupperie) القاصد الرسولي في بغداد يطلبون كاهناً لخدمتهم الروحيّة والمناضلة عن حقوقهم . فوافاهم القس ميخائيل بن عبيد الموصلي ونزل في دير المرسلين الكبوشيين سنة ١٨٢٥ واستمدّ القاصد الرسولي كتاباً من والي بغداد الى داود آغا حاكم ماردين فيهِ يشدّد عليهِ التوصية بالقس الموما اليهِ وبجماعاتهِ وسجّل ذلك الصكّ في المحكمة وفي ديوان الحاكم فانتعش قلب المؤمنين بهذه الوصاة ونالوا الراحة والفرج زمناً .

على ان السيد انطون سحيري كان كبطريركه مسترسلاً في مناصبة السريان الكاثوليك مجهداً النفس في مَحْقهم تمْقيتاً . واليك ما كتبهُ بخط يدهِ تأييداً لذلك قال : « وكان السيد سحيري (١ متمسكاً بالديانة اليعقوبيّة تمسكاً شديداً ومحامياً عنها بكل جهدهِ ومقاوماً الديانة الكاثوليكيّة بكل عزمهِ . حتى انهُ كان يسعى في حبسهم احياناً . ثمّ رُقّي بعد مدّة الى النيابة البطريركيّة وتسلّم كل ما يختص بها فالتزم ان يرتب كل شيء . ومن الجملة اخذ ينظم المكتبة البطريركيّة فوجد فيها اربع كراسات

---

١) من هنا ننقل القصّة بالحرف الواحد ولم نغيّر فيها الّا الفاظاً زهيدة وهي مكتوبة بضمير الغائب لا بضمير المتكلم كما ترى

تشتمل كل منها على صورة اعتقاد بعض بطاركة طائفته . والاربعة معاً يقرُّون بالديانة الكاثوليكية ويثبتونها بشهادات من الكتاب المقدَّس ومن الاباء القديسين معلمي الكنيسة الشرقيَّة كمار افرام السرياني ومار يعقوب ومار باسيليوس وقرلُس وغيرهم . وهولاء البطاركة الاربعة هم : البطريرك جرجس الثالث (+ ١٧٨١) والبطريرك متيُوس الماردينى (+ ١٨١٧) والبطريرك بهنام الموصلي († ١٨١٧) الذي دموه من راس الجبل الى اسفل في شمشم ومات . والبطريرك جرجس سيَّار الرابع الذي كان وقتئذٍ ضابطاً الكرسي († ١٨٣٦)

« فلمَّا تأمل السيِّد انطون هذه التقارير واعتبرها جيِّدًا تغيَّر من حال الى حال وابغض الاراء اليعقوبيَّة واضطرم قلبهُ بمحبَّة الديانة الكاثوليكيَّة وحفظ تلك التقارير عندهُ . وبعد زمان وجيز اغتنم الفرصة وتوجه الى ديار بكر ودخل على البطرك واختلى به وعرض عليهِ التقارير المذكورة بقولهِ لهُ : « نحن نقاوم الكاثوليكيين ونجادلهم ونقول لهم انهم ضالُّون وانَّنا ابنـاء الايمان المستقيم . والحال ان تقريرك وتقارير سلفائك تعلن حقيقة الديانة الكاثوليكية بشهادات ثابتة من الكتاب المقدس ومن آبائنا القديسين معلمي كنيستنا . فاذًا نحن الضالُّون والكاثوليكيون مستقيمو الايمان . فلماذا لا نترك الضلال ونعتنق الايمان الحقيقي » . فاجاب البطريرك : « حقًّا الديانة الكاثوليكيَّة حقيقيَّة وانا وقَّعتُ هذا التقرير منذ ثلاث عشرة سنة بمجمع الاسقفي في دمشق الشام ثم بمجمع البطريركيّ يوم كنت في دير مـار قرياقس بالبشيرية . ولكنيّ ما اقدر الآن ان اشهرها لئلَّا يصيبني ما اصاب اولئك الذين اشهروها او ارادوا ان يشهروها . فنهم من نُفي ومنهم من طُرد ومنهم من أُلقي من الجبل الى اسفل (١ وما شاكل ذلك لان الاساقفـة عنيدون والشعب احمق وغليظ الرقبة فيقتضي ان نصبر حتى يصير لنا فرصة امينة . والَّا فاننا نموت مثلما مات آباؤنا واجدادنا والرب يعاملنا حسب نيَّتنا ان لم نقدر ان نشهرها لان محبَّ الخطر يبيد فيه » . فاجابهُ المطران انطون : هذا رجاء باطل يا سيِّدي . فجعل البطريرك يرغبهُ في المفريانيَّة

---

١) يشير الى البطاركة اندراوس اخيجان وخلفائه ولاسيما الى البطريرك بنـام الذي قُتل في شمشم بدهاء اليعاقبة (راجع تاريخ السيد افرام نقاشه ص ٤٢٤)

فرفضها (١ وخرج من عنده دون ان يبيّن لهُ نيتهُ وعزمهُ وعاد الى ماردين

« ولمّا وصل الى ماردين اخذ يحرّض الناس سرًّا ويقنعهم بصحّة الديانة الكاثوليكيّة فاقنع مطراناً اسمهُ غريغوريوس عيسى محفوظ كان مرسوماً على اورشليم وموجودًا في ماردين لقضاء مصالحهِ واربعة خوارنة وهم القس ايليا نخيت والقس عبد النور والقس يعقوب ابن القس ايليا زاعور والقس عبد المسيح اخو داهودو واثني عشر شمّاساً منهم اثنان دياقونيان وزهاء مائة وخمسين عائلة من الشعب . وحينئذٍ اشهر اعتناقهُ للديانة الكاثوليكيّة ومضى واخذ الحلّ من الارتقة من مطران يرياقيم طازباز الارمني تلميذ پروپاغندا . واقتفى اثره السيّد غريغوريوس عيسى ايضاً . وابتدأ يحلّ من الارتقة الخوارنة والشمامسة والشعب . وكان ذلك في سابع عشر نيسان سنة ١٨٢٧ وحرّر هو والسيّد غريغوريوس عيسى صورة اعتقادهما الكاثوليكي وارسلاها الى الكرسي الرسولي الى السعيد الذكر البابا لاون الثاني عشر

« ولمّا بلغ الخبر مسمعي البطريرك اغتاظ غيظاً شديدًا جدًّا وكتب الى السيّد انطون سمعيري هكذا: « قد بلغني انك اعتنقت الايمان الكاثوليكي وتبعك المطران غريغوريوس عيسى واربعة خوارنة ومعهم شمامسة وجمهور من الشعب فغمّني ذلك جدًّا اوّلًا لاجل اختلاف الزمان وثانياً لانك عملت هذا العمل في كرسي بطريركيّتي فان سكتُّ عنكم يظنّ الاساقفة وكلّ الشعب ان هذا العمل صار بارادتي حيث انك وكيلي وناثبي ولا يهون عليّ ان اتخطهدك حيث اني احبُّك . فارغب منك ان تطيع شورتي وترجع عمّا صنعت والّا فالتزم ان اقاصّك قصاصاً صارماً وارجمك غصباً »

« فاجابهُ السيّد سمعيري هكذا: « اني بعدما عرفت وتحققت بكل تأكيد حقيقة الديانة الكاثوليكيّة لا يمكني الّا اعتناقها من حيث ان لي نفساً واحدة فقط بان هلكتْ هلكتُ معها الى الابد . وانا ملتزم ان اطيع الله اكثر من الناس حسب تعليم بطرس هامة الرسل . فان ارادت غبطتك ان تقبل توسلي فاعتنق انت ايضاً

١) من ذلك يتّضح جليًّا ان السيّد سمعيري لم يُرسَم مفريانًا كما توهّم توما لامي (Mgr Lamy) في سلسلة المقارنة التي اضافها الى تاريخ ابن العبري الكنسي (ج ٣ سنة ١٨٧٧)

الديانة الكاثوليكيَّة التي تشهد انت ذاتك لحقيتها. ولا تخفْ من الذين يقتلون الجسد (متى ١٠: ٢٨) وان رفضتَ توسلي فعلى خاطرك. أمَّا انا فقد اخترتُ لي حظًّا صالحًا لا يقدر احد ان ينتزعهُ مني الى الابد. والذي تريد ان تصنعهُ فاصنعهُ عاجلًا »

« فلما بلغهُ هذا الجواب عدل الى الوعيد والتهديد علَّهُ يردّ السيد سحيري الى مذهبهِ فما استفاد شيئاً من عملهِ. ولمَّا خاب املُهُ من حكم ماردين (١ قام من ديار بكر وتوجه الى القسطنطينيَّة. وكانت الدولة العثمانيَّة وقتئذٍ انفذت عدَّة اوامر بنفي الكاثوليكيين من مملكتها لسبب الحرب التي جرت بينها وبين اليونان اذ اتفق معهم المسكوب والدولتان الفرنسويَّة والانكليزيَّة وضربوا عمارة الدولة على مجر اثينا في مرفأ نفارين في ٢٠ تشرين الاوَّل سنة ١٨٢٧ واحرقوها. فوصل البطرك الى القسطنطينيَّة وعرض شكواه على الباب العالي بقوله : من حيث انهُ امين الدولة وان قد ظهر في طائفتهِ استفان تبعا مذهب الفرنج اعداء الدولة العثمانيَّة وجعلا يحرّضان الرعيَّة على اتباع الفرنج فلذلك التزمَ ان يأتي بشخصهِ ويعرض الامر على الباب العالي ليصدر الامر الشريف برجوعهما او نفيهما او حبسهما حتى يرجعا ويقدّما لهُ الطاعة

« وعلى هذا المنوال اخذ فرماناً من الباب العالي ورجع الى دياربكر وارسل الفرمان مع الرَّبان متي الى والي بغداد لوقوع ماردين تحت حكمه. ومن هناك ارسل الوالي مباشرًا خصوصيًّا الى ماردين وحضر اليها البطرك ايضاً واظهر الاوامر وقدَّمها الى علي بك المقدم حاكم ماردين. وللحال ارسل الباشا قرَّاسين واخذوا السيد سحيري والسيد عيسى الى السراية وقرأوا الاوامر على مسمعهما وامرهما الباشا ان يرجعا الى طاعة البطريرك. فاجاب السيد سحيري انا نطيع البطريرك بكل ما

---

١) ذكر ابن حنه الارمني الكاثوليكي في تاريخهِ ان البطرك جرجس السيَّار اوفد رسالة الى عبدالله آغا حاكم ماردين مع هدية ثمينة ومال كثير والتمس منهُ ومن علي بك الالاي ان يقبضا على السيد سحيري والمطران عيسى ويزجَّاهما في السجن ففعل الحاكم. فنهض الكاثوليك وجمعوا مالًا بهِ اعتقوهما واخرجوهما من السجن بعد ان قضيا فيهِ خمسة عشر يومًا (راجع تاريخ السيّد افرام نقاشه ص ٥٠٠)

يأمرنا من الخدم الدنيوية ونكننا لا نطيعه في الاعتقاد بديانته ابداً لان اعتقادهُ ضدّ الانجيل وتعليم الحواريين. وبالنتيجة جرت حين ذلك مجادلات كثيرة لا حاجة الى ذكرها خوفاً من الاسهاب (١ اخيراً قال البطريرك: اذا كنتُ انا كافراً او مؤمناً فهذا شيء لا يخص الحكم. ولكن بما اني اتيت بأمر من الدولة العليَّة فليلزمها إمَّا ان يتبعا ديانتي او يُلقيا في السجن الى ان يطيعاني. وان بقيا مصرَّين فيبقيان مسجونين الى ان يموتا. والباشا قال هكذا. فاجاب السيد سحيري: ان السجن الزمني افضل من اتباع الضلال الذي عاقبتُهُ الهلاك الابدي. وحالاً ارسلهما الحاج احمد افندي المفتي الى علي بك مصفَّدين بالاغلال في عنقهما ورجليهما على مرأى من الجميع الى قلعة البلد حيث كان يُسجن القتلة وقطاع الطريق. فحبسوهما في مكان ردي جداً وكان ذلك في نيسان سنة ١٨٢٨. واتفق في ذلك الوقت وجود ضربة طاعون مهلك في ماردين وكان يموت كل يوم اناس كثيرون. وكان في القلعة ثلاثمائة نفر من العسكر يحرسونها فوقعت فيهم الضربة وماتوا وما بقي منهم سوى خمسة وثلاثين نفراً لا غير. ولم يُعجب المطرانين ادنى عارض مع ان المكان كان رديئاً جداً وكانت روائح المصابين وروائح جثث الموتى تتفاقم لانهم ما كانوا يحفرون في الارض ليدفنوهم الَّا قليلاً. ولقلَّة التراب الذي كان يُرمى فوق الجثث كانت تخرج روائح منتنة منها. وكان القمل من جهة اخرى يرعى في جسم المطرانين كعش النمل لكثرة الوخم. (وهنا يصف السيد سحيري حالتهما بما نشمئزُّ من ذكره)

«فمن ذلك يفهم كل احد وفور الوخم وكثرة الوسخ الشنيع والحال التعيس الذي حصل فيه المطران مدَّة ثمانية اشهر كاملة الى ان صار الصلح بين الدول الغربيَّة والدولة العثمانيَّة. فحينئذٍ سعى في اطلاقهما السيد بطرس كيري القرنساوي القاصد الرسولي في بغداد مع وكيل قنصل دولة فرنسا عن يد والي بغداد. والوالي المذكور ارسل فاطلقهما من الحبس بغرامة ثمانية آلاف فرنك تقريباً مع انهُ لم يكن عندهما ثمانية فرنكات. فخرجا من الحبس وصارا يلتمسان احسان الكاثوليكيين من اي طقس كانوا وبالجهد الكلي جمعا من الكاثوليكيين الذين في ماردين مقدار الفيْ فرنك حيث

---

١) ترى المجادلة في تاريخ السيد افرام نقَّاشه ص ٥٠٣

القديس سهاك (اسحاق) بطريرك الطائفة الارمنية

ان اهالي هذه المدينة هم فقراء جداً وكان ظلم الحكم متصلاً بهم يومياً. اما باقي المبلغ فتدينّاهُ بالقائض من تجارى واسلام (١

« ثم ان السيد سمحيري ترك السيد عيسى في ماردين ليعتني بالشعب في وسط هذه الاضطهادات وسافر من ماردين في ٩ تشرين الاول سنة ١٨٢٩ وتوجه الى سوريا ليجمع الحسنات من الكاثوليك لوفاء الغرامة. وكلما كان يجمع شيئاً كان يرسلهُ الى اصحاب الدين. لكنهُ قبل ان يفي دينهُ بتمامهِ دفع البطريرك اليعقوبي مبلغاً الى الباشا بماردين فقبض على السيد عيسى وعلى الخورنة الثلاثة اذ كان الخوري الرابع قد توفي في تلك السنة واسكنهم بقوة الرشوة وحبسهم عندهُ في دير الزعفران دير كرسيّه البطريركي. وصار هو واساقفتهُ يعذبونهم بالضرب المؤلم ويهينونهم اهانات مختلفة. وجعلوا منام المطران عيسى في اسطبل الخيل والخورنة في اسطبل البقر. وكانوا كل يوم يحاولون اقناعهم لكي يرجعوا الى معتقد اليعاقبة ويحرموا الايمان الكاثوليكي. ولكنهم لم يلتفتوا الى اقوالهم بل كانوا يحتملون العذابات والاهانات بكل فرح. اما بعض الاساقفة فكانوا يريدون ان يقتلوهم. ولكن البطرك ما كان يرضى بذلك لخوفهِ من الباشا اذ كان قد شارطهُ لما سلّمهم اليهِ بانهُ لا يقتلهم (٢

« فبلغ هذا الخبر الى السيد سمحيري وهو في حلب فمضى من وقتهِ الى القنصل الفرنساوي والتمس منهُ ان يبعث كتاب توصية الى سعادة السيو غليمينو الجي

---

١) ذكر ابن حسنه الارمني في تاريخه انهُ لما تكتلك السيد سمحيري والسيد عيسى وجملة من الكهنة والشعب كانوا يقيمون الحفلات البيعيّة تارةً في كنيسة القديسة شموني التي ضبطاها من اليعاقبة وطوراً في كنيسة الارمن وآونة في كنيسة الكلدان وكان وقتئذٍ للارمن مطرانان وهما المطران برياقيم والمطران ابرهيم وللسريان مطرانان وهما السيد سمحيري والسيد عيسى وللكلدان مطران — غير ان السيد سمحيري بعد سجنه في القلعة ضبط منهُ اليعاقبة بيعة القديسة شموني فكان المطرانان يقيمان القداس خفيةً في بيت سمار باشي فوشي جما المقريان الياس عنكز الى الماكو فنهاهما فجعلا يقدّسان في بيعة الارمن. وفي تلك الاثناء وردهما من البابا لاون الثاني عشر جواب رسالتهما وفيهِ عتبهما بالاخوين الامينين وارسل لكل منهما تاجاً وصليباً وصندوقاً يتضمن كتباً دينيّة. ووافاهما كذلك كتاب من بطريرك السريان الكاثوليك بطرس جروه فيهِ يدعو لهما بالتوفيق ويسلّمهما (تاريخ ابن حسنه ص ٣٨)

٢) لبث المطران عيسى والخورنة في سجن دير الزعفران حتى ١١ نيسان سنة ١٨٣١ ففكّهم كاثوليك ماردين باربعة آلاف غرش دفعوها الى محمد اوصو بموجب صك شرعي

دولة فرنسا المقيم في القسطنطينيَّة لكي ياخذ بساعدته فرماناً بتحرير الكاثوليك من سلطة اليعاقبة ويطلق السيد عيسى والخورنة المسجونين عند البطرك اليعقوبي. فاجابهُ القنصل الى مطلوبهِ واعطاهُ كتاب توصية حملهُ وتوجَّه بهِ الى دير الشرفة حيث كان البطريرك بطرس جروه ومن هناك توجَّه حالاً الى القسطنطينيَّة وبواسطة الاجلي الفرنساوي حصل على مرغوبهِ بعد وصولهِ الى القسطنطينيَّة بثلاثة اشهر سنة ١٨٣١ . وبعد ان اخذ الفرمان في اربع نسخ مصدَّقة ومسجَّلة في الباب العالي ارسلهُ الى حلب الى السيد بطرس جروه البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك والبطريرك المذكور ارسلهُ بواسطة احد الكاثوليك الى عثمان بن ابرهيم باشا الآمدي حاكم ماردين وهكذا نجا السيد عيسى والخورنة الثلاثة من حبس البطرك اليعقوبي واذداد جمهور المتكثلكين

« ثم ان السيِّد سمحيري لما قضى مصالحهُ في القسطنطينيَّة عوَّل على الرجوع الى حلب ومنها الى ماردين فسافر بحرًا على مركب عثماني صغير. فلمَّا قطع المركب جزيرة رودس تعرَّضت لهُ مراكب مصريَّة فأمسكوه وأخذوه الى الاسكندريَّة عنفاً لانهُ كانت حينئذٍ حرب بين السلطان محمود وبين محمد علي باشا والي مصر . فلما وصل المركب الى الميناء ارسل السيِّد سمحيري جواز سفرهِ الذي كان اخذه من الجي الدولة الفرنساويَّة الى القنصل الفرنساوي في الاسكندريَّة الموسيو ميمو . فارسل المسيو ميمو ترجمانهُ فاخذ السيِّد سمحيري من المركب الى دير المرسلين الفرنسكان وقادهُ راكباً فرساً وبقي بضعة ايَّام الى ان استراح . ثم توجَّه الى مصر فاستقباه القبط الكاثوليك واحتسبوه كأنهُ ملاك نازل اليهم من السماء . وكان قد توفي اسقفهم الكاثوليكي واصبحوا من دون اسقف يرعاهم . ولما انتخبوا لهم اسقفاً لم يكن عندهم اساقفة كاثوليك ليرسموه ولم يكونوا يستطيعون ان يرسلوه الى محلٍّ آخر ليرتسم لسبب الحرب التي كانت منتشبة بين محمَّد علي باشا والسلطان محمود . وكانوا يخافون على الشعب خوفاً عظيماً من مكايد الاراطقة وهم يحاولون ان يغتنموا فرصة عدم وجود اسقف كاثوليكي يرعاهم لكي يفتكوا بهم . فحالاً عرضوا الامر على الكرسيّ الرسولي المقدَّس واستأذنوه ليرسم السيد سمحيري الاسقف الذي انتخبوه فارسل البابا غريغوريوس السادس عشر الحبر الاعظم

براءة رسوليـة الى السيد سمحيري وفوّضهُ بسيامة الاسقف فكرّس لهم حالًا اسقفًا كان اسمهُ « تادروس جاد الكريم » وحصـل بسيامتهِ فرح عظيم لجميع الكاثوليك واقام السيد سمحيري في القطر المصريّ الى ان صار الصلح بين محمّد علي باشا والسلطان محمود . وجمع لهُ مؤمنو مصر زهـاء خمسة عشر الف غرش فارسلها الى ماردين لقاء الدَّين

« وبعد ذلك عاد السيد سمحيري الى حلب فوصلها في حزيران سنة ١٨٣٣ . ثم توجّه الى ماردين في ٢٥ تشرين الاوّل مؤيّدًا بفرامين من الباب العالي . ولدى وصوله اخذ كنيستين من كنائس اليعاقبة وهما كنيسة الاربعين وكنيسة الشهيدة شموني . وارتدّ كثيرون من اليعاقبة الى الايمان . امّا البطرك اليعقوبي فلم يكن في ماردين بل كان يدور في الابرشيّات يجمع حقوقه الرتبة عليهم . فلمّا بلغهُ خبر حضور السيد سمحيري الى ماردين وضبطهِ الكنيستين جمع اساقفة الابرشيّات القريبة من ماردين واحضرهم اليهـا وقدّموا مبلغًا جسيمًا من الدراهم للحاكم فضبطوا الكنيستين من السيد سمحيري وما اكتفوا بذلك بل قدّموا مبلغًا آخر للحاكم لكي يسلّمهم السيد المذكور حيًّا او يقتله . فالباشا (١ لم يستطع ان يفعل ذلك لانّ السيد سمحيري كان اتى باوامر من الباب العالي . ولكنّهُ وعدهم بقتله خفيةً لا ظاهرًا . وعيّن اناسًا خصوصيين لكي ينتهزوا الفرصـة ويقتلوه ليلًا . غير انّ اصدقاء السيد سمحيري وكانوا من حشم الباشا ذاتهِ بأنموهُ الامر فاضطرّ ان يغيّر مكانهُ الخصوصيّ وكان يستحضر كلّ ليلة اناسًا باسلحة حتى يحرسوه الى الصباح الى ان وجد وسائط بها جذب الباشا الى مصالحتهِ معهُ بواسطة الدراهم . فلمّا شعر البطرك اليعقوبي بذلك خاف وترك ماردين وهرب الى الجبل واراد الباشا ان يعطي الكنائس مرّة اخرى للسيد سمحيري فما ارتضى ان يستلمها وذلك اوّلًا لاجل

---

١) قرأنا في كتاب ابن حسنه معاصر السيّد سمحيري ان علي باشا الوزير قدم الى ماردين سنة ١٨٣١ وسار الى بغداد واوفد من قبله حاكمًا لماردين اسمهُ زينان آغا يصحبه احمد اغا التفنكجي باشي . وسنة ١٨٣٢ خلفه عثمان بك ثم الحاج محمد اغا . وفي هذه السنة اعلن اهالي قرية الكوليّة او القصور كنلكتهم فاوفد اليهم المطران عيسى قسّين لخدمتهم الروحيّة

الخطر وثانياً لئلّا يتلف المال بالباطل (١ حيث ان الحكم كان مثل سوق الحراج فكلٌ من زاد الحاجة غرشاً اخذها. وبناء عليه اشترى السيد سحيري بيتاً يشتمل على اربع غرف فخصّص الواحدة للخدم الاهليّة والثانية للاسكول (المدرسة) وكان خادمهُ ينام فيها ليلًا والثالثة لنومهِ والرابعة للمواجهة والاندية ولسائر الاشياء. واستمرّ في ماردين يعلّم ويكرز وينذر بالايمان الى سنة ١٨٣٦

«وفيها مات جرجس الرابع البطرك اليعقوبي في شهر حزيران وقام عوضهُ البطرك الياس عنكز الذي كان رئيس اساقفة الموصل. وهذا كان رجلًا شريرًا رديء الاصل يبغض الكاثوليك بغضاً متفاقماً حتى انهُ كان يقول: ضعوا الكاثوليك في جوفي واضربوهم بسيف ودعوهم يموتون وانا معهم. فهذا تقلّد زمام البطاركيّة سنة ١٨٣٧ وجدّد الاضطهاد على الكاثوليك واستجاب اوامر من الباب العالي لضبط مقابرهم في ماردين ومضى الى الموصل واضطهد السيد عيسى وضبط حصص كنائس الكاثوليك وتغلّب على مقابرهم ايضاً. فالتزم السيد عيسى وقتاً عن كبر سنّه ان يسافر الى القسطنطينيّة مسافة خمسين يوماً وهو لم ينقه من الامراض التي اصابتهُ حينما كان محبوساً عند الارانقة. ولكنهُ بعناية الربّ وصل سالماً واخذ اوامر من الباب العالي بواسطة الجي دولة فرنسا ايضاً ورجع الى الموصل واسترجع حصص كنائسه ومقابر رعيّته. فرجع البطرك اليعقوبي من الموصل بالخزي الى ماردين وجدّد الاضطهاد على السيد سحيري وصارا يتعاركان فتارةً الغلبة لهُ وتارةً عليهِ. وكلّما كان السيد سحيري يتضايق كان يهرب الى ديار بكر ويقوّي الكاثوليكيين فيها ويجذب اناساً

---

١) ذكر السيّد افرام نشأته في تاريخه (ص ٥٣٠ — ٥٣٢) ان السيّد سحيري لمّا سئم الاقامة خفيةً لاذ بعلي بك امير اللمة وسار اليهِ صحبة ادسي بن سعيد وترامى على قدميهِ فلاطفه وقال لهُ: ان البطرك سعى لديَّ بقتلك وعلمنا انك لذتَ بي فانا أعدك بقتله ان شئت. فقال لهُ السيد سحيري: كلّا يا سيّدي بل اريد ان نحضر كلانا عندك فاقدّم لهُ الغليون والقهوة واقبّل يده احتراماً. فانذهل علي بك وذكر لهُ الدسائس التي كان البطرك يدسّها للفتك بهِ. فتوسّل اليهِ السيد سحيري ان يعفو عنهُ ولا يؤذيهُ. فاحبَّهُ علي بك وفي الحال استصحبهُ الى الحاكم والى حاجي بك وسائر الاعوات فاكرموا المطران وطمّنوه واعلموه بان قد وردت اليهم توصية في شأنه وفي شأن شعبه من لدن علي باشا والي بغداد فسكن روعه وشكر الله وودعهم

من اليعاقبة الى الايمان المقدس . وكان البطرك اليعقوبي يلحقهُ ويجدّد عليهِ الاضطهاد الى ان يضايقه فيهرب تكرارًا من وجههِ وعلمٌ جرًّا

غير ان البطرك دفع ثالث مرّة رشوة وافرة لبكندي باشا حاكم ماردين فامسك السيد سمحيري واخاً لهُ اسمهُ عيسى كان قد حضر اليهِ عند رجوعه من زيارة اورشليم. واتّفق ان القوّاسة الذين اتوا ليقبضوا عليهما ضربوا اخاه ضرباً مبرّحاً على رأسه وبقيّة جسمهِ وساقوهما الى حبس شنيع مظلم جدًّا حيث يُحبَس القتلة واللصوص. وجعلوا السلاسل الحديدية في عنقهما والقيود في رجليهما وبعد نصف الليل نزلت نزلةٌ دمويّة على اخيهِ وعند الصباح ثقل عليهِ المرض جدًّا. وبالجهد الجهيد حصّلوا اذناً من الباشا لكي ينقلوا المريض الى بيتهِ فاخذه الحمّالون على ظهرهم وعند وصولهِ الى البيت منحوهُ الاسرار الكنسيّة وبعد ساعة ونصف انتقل الى رحمة بارئهِ

« ولما سمع السيد سمحيري بوفاة اخيهِ المحزنة تضايق صدرهُ واغتمّ غمًّا شديدًا على فقد شقيقهِ المظلوم البريء من كل ذنب. والتزم ان ينكّ ذاتهُ بغرامة تناهز الفي فرنك (١ وخرج من الحبس وسافر الى ديار بكر (٢ وبقي هناك يشجع الكاثوليك ولمّا عُزل باشا ماردين رجع اليها ليضرم جذوة الايمان المقدس في قلوب رعيّته

« امّا البطرك اليعقوبي فلم يكفّ عن الحركات والوشايات بحق السيد سمحيري حتى انهُ حرّك عليهِ شعب الاسلام عمومًا بقولهِ لهم : « ان السمحيري يفسد الشعب ويجذبهُ الى مذهب الافرنج وقد فتح بيتهُ للصلاة وجعلهُ نظيرَ كنيسة . وهذا هو ضدّ

---

١) لمّا توفي شقيق السيّد سمحيري خاف المؤمنون ان يصيبه ما اصاب شقيقه فبادروا الى الاسواق والبيوت وجمعوا نقودًا وامتة بانت قيمتها نيفًا وسبعة آلاف غرش قدّموا بها راعيهم. ورُوي عن جبرائيل نوري انهُ خلع كسوته للحال وهو في الطريق وكانت ثمينة فباعوها وضمّوا قيمتها الى المبلغ وادّوا الغرامة

٢) وهناك استقبله السيد يوسف اودو مطران الكلدان بترحاب ورفع دعواه الى والي ديار بكر محمّد رشيد باشا وشرح ما اصابه من بكندي. فتعطّف الوالي على السيّد سمحيري واشأز من قسارة بكندي وأمر كاتبه فرقم بيورلديًا سنة ١٨٣٥ تهدّده فيهِ وامره ان يرجّع المال الى السيّد سمحيري وان لا يأخذ منهُ الشر من الكروم والبساتين والاوقاف المختصّة بهِ فردَّ بكندي الدراهم. وعاد السيّد سمحيري الى ماردين شاكرًا (راجع تاريخ المطران افرام نقاش ص ٥٣٩ — ٥٤١)

الشريعة الاسلاميَّة وخلاف امر النبي محمد الذي يقول لا يُحدث بديارنا كنيسة ولا دير ولا معابد للنصارى . . .

« ومن ثم هاج المسلمون وقصدوا قتل السيد سمحيري . فخرج السيد المذكور من بيته سرًّا ومضى الى كنيسة الكلدان الكاثوليك واختفى هناك تحت المذبح ففتَّش عليهِ الاسلام ولم يروه حتى صار الليل . ولمَّا اشتدَّ الظلام خرج من تحت المذبح وسجد للقربان المقدَّس شاكرًا فضلهُ وانعامهُ لانهُ حفظهُ تحت اكنافه ولم يسلّمه لاعدائه

« ثم ارسل السيد سمحيري فاحضر ثياب احد العلمانيين الفقراء وكانت ثيابًا رثَّة فتزيَّا بها ومضى الى بيت احد ابناء رعيتهِ القريب من سور المدينة (١ وبقي تلك الليلة هناك . وفي الغد سعى نفر من الكاثوليكيين فوجدوا ثلاثة اشخاص اقوياء وامناء وشارطوهم بكميَّة من الدراهم لكي يمضوا مع السيد المذكور ليلًا الى ديار بكر . وخرجوا من المدينة بعد الغروب واختفوا في مكان عرَّفوا بهِ السيد سمحيري ولمَّا صار الليل صعد الى السور واخذ معهُ بعض الاصحاب فاوثقوهُ بحبل ودلَّوهُ من السور الى خارج المدينة ولمَّا وصل الى الارض ذلك الحبل فعاد الاشخاص الى بيوتهم . اما الطران فقصد المكان الذي اتَّفق عليهِ مع الشبَّان الثلاثة فلمَّا انتهى اليهم حملوا اسلحتهم وساروا معهُ تلك الليلة كلها الى ان قطعوا حدود ماردين ووصلوا الى حدود ديار بكر صباحًا فحصلوا على الامان

« وعند المساء وصل الى ديار بكر سالمًا ولما دخل الى احد بيوت رعيَّته (٢ لم يعرفوه لسبب ثيابه الرثَّة التي كان لابسها ولما تكلَّم معهم عرفوه وصاروا يشكرون الله بفرح عظيم لا يوصف . واقام في ديار بكر نحو اربعة اشهر الى ان تغيَّرت الظروف فعاد الى ماردين وفتح بيتهُ الذي كان قد اغلقه المسلمون وابتدأ يصلي فيهِ كالسابق ويقوّي الكاثوليكيين ويشجعهم لكي يحتملوا التجارب والاضطهادات مثلما احتملها الرسل القديسون والمسيحيون المجاهدون في اوائل الكنيسة وكمَّلوا جهادهم بالرب وحصلوا على المجازاة السعيدة من يسوع راس الكنيسة المنتصرة

---

١) هو بيت روبي وموقعه في محلَّة الكولنيَّة شرقيّ البلد

٢) هو بيت الخواجه توما ابن الشماس ججّو الموصلي (نقاشه ص ٥٤٨)

« ولكن الاضطهاد لم ينته والعدو لم يفتر من دسائسه المتنوّعة . لانهُ كان يخترع في كل مدّة وجيزة مكايد جديدة ويلقي السيد سحيري في اخطار موبقة وكلما كان يقع في يده كان يفك ذاته وينقذ حياته بالدراهم . وحينما كانت تسنح لهُ الفرصة كان يهرب منهزماً وحينما كانت تهدأ الاضطرابات قليلاً كان يرجع الى رعيته ويشدّدهم بالايمان ويشجعهم على احتمال الاضطهادات التي عاقبتُها سعادة غير زائلة . وما انتهت تلك المحن الّا بانتهاء حياة البطرك اليعقوبي الذي هلك بكل تعاسة في سابع نيسان سنة ١٨٤٧ ومن تلك السنة خمدت وبطلت الاضطهادات واصطلح حكم الدولة قليلاً . وحينئذٍ مضى السيد سحيري الى ديار بكر واشترى بيتاً (١ وعمّر فيه محلًّا للخدم الالهيَّة ومكاناً للاسكول (المدرسة) ومنزلًا لسكنى الكهنة . واقام هناك ثلاثة كهنة لخدمة الشعب الكاثوليكي . واستقرّ الحال وحصل الاطمئنان وغدا الايمان ينمو يوماً فيوماً بارتداد اليعاقبة

« والآن ما عاد يحتاج الّا الى الاهتمام في استعمال الوسائط التي اذا صُنعت وكملت بعناية الربّ يؤمّل بلا شك ارتداد جميع اليعاقبة واستئصال ارتقتهم الوخيمة فتحصل الرعيَّة واحدة لراعٍ واحد وهو خليفة بطرس ونائب يسوع المسيح على الارض وابو المسيحيين كافة . والوسائط هي هذه . اوّلًا . . . »

الى هنا انتهى ما رقمهُ بخطّ يده رحمهُ الله ولم يذكر تلك الوسائط التي بها يُؤمل نجاح الكثلكة وانتشارها ولعلَّهُ كتبها في رقعة اخرى لم نعثر عليها

وبعد ان اقام السيد سحيري اربعة اشهر في ديار بكر رجع الى ماردين وطفق يسوس الرعيَّة بالغيرة والحكمة وينهج لها سبل التقى والفضيلة ويلقنها العلوم الدينيَّة الراهنة فنمت الطائفة وازدادت حتى بلغت مائتين وعشر عائلات وقد عثرنا على اسمائهم في دفتر مرقوم سنة ١٨٤٧ ضمن اوراقه رحمهُ الله . ولمّا استتبّ السلام في ماردين رأى ان يشخص الى الموصل سنة ١٨٤٩ ومنها سار الى بغداد وحصل على التوصية من واليها الى حاكم ماردين ليعضدهُ في ابرشيَّته ويطلق لهُ الحريَّة في سياستها وتدبيرها ويكفيهُ شرّ خصومه الذين كانوا يثُون عليه العيون ليفتكوا بهِ ويصدعوا

---

٢) بفضل السيّد تريوش (Mgr. Trioche) القاصد الرسوليّ ونائب قنصل فرنسا في بغداد طبقاً لما كان وعده كما سبق في المتن

شمل رعيّته التي دارت عليها كؤوس البؤس والشقاء ونالت لاجله الضيم والبلاء. وبعد ذلك قفل السيد سمحيري راجعاً الى الموصل وعاد منها الى ماردين. وبعد وفاة الياس عكز بطريرك اليعاقبة خلفه يعقوب القلعسراوي سنة ١٨٤٧ وكان هذا البطريرك يجامل الكاثوليك ويعزيهم بل اعلن بالطاعة للحبر الروماني ووقّع بخته صورة ايمان البطريرك جرجس الثالث. وارفد اليه بيوس التاسع الحبر الاعظم رسالة حثّه واستدعاه الى المجمع الفاتيكاني وكان معوّلاً على الذهاب غير ان اليعاقبة ثبّطوه عن انجاز بغيته

ثم ان العناية الالهيّة باركت اتعاب السيد سمحيري وفكّت عرى خوفه وسرّت عنهُ غمومهُ. فقرّت عينهُ بانضمام طائفة من اليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي في مذيات والكوليّة وغيرها فارتدّ منهم كثيرون بمساعدة الآباء اليسوعيين نخص منهم بالذكر المطران زيتون چلمه († ١٨٨١) بطريرك طور عبدين على اليعاقبة. وبالنتيجة ان الكثلكة في ما بين النهرين استقامت امورها وازدادت نجاحاً بمساعي المطران سمحيري ونشاطه

٣ بطريركيّة السيّد انطون سمحيري

ولمّا انتقل السيد اغناطيوس بطرس جروه الى الاخدار السماريّة في ١٦ تشرين الاوّل سنة ١٨٥١ ونُعي خبره الى الكرسي الرسولي اوعز الى السيد سمحيري ان يتولى النيابة الرسوليّة بموجب صك مؤرخ في ٢٨ اذار سنة ١٨٥٢ وفي هذا الصك عينهِ اعلن انهُ نقل الكرسيّ البطريركي الى ماردين

وكتب ايضاً الى السيد مبارك بلانشه (Mgr.Planchet j.s.) القاصد الرسولي والى المطران عيسى في ان يشخصا الى دير الشرفة بلبنان للانتخاب البطريركي. بيد ان المطران عيسى لشيخوختهِ تعذّر عليهِ الحضور فأوعز الى القاصد الرسولي انهُ ينتخب السيد سمحيري لجدارته وغيرته. فسافر الاساقفة الى المجمع والتأموا في دير الشرفة في ٣٠ تشرين الثاني وهم السيد يعقوب حليـاني مطران دمشق الشام والسيد متى نقّار مطران النبك وحمص وحماة والسيد يوسف حانك مطران بيروت والخورفسقوس جرجس شلحت نيـابةً عن كرسيّ حلب يتقدّمهم القاصد الرسولي والسيد سمحيري

النائب الرسولي وانتخبوا بالصوت الحيّ السيد انطون سمحيري بطريركاً انطاكياً فرضي بتلك الدرجة السامية استشاراً للطاعة واستهاماً للخدمة والجهاد وسأل ان تُقام حفلة تنصيبه في ثامن كانون الاوّل تيمّناً بعيد الحبل بمريم العذراء بلا دنس واعلاناً بانهُ يضع الطائفة السريانيّة برمّتها تحت حمايتها. وبناء عليه تُوّج بطريركاً انطاكياً في ٨ كانون الاوّل سنة ١٨٥٣ على يد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران الشام (١ وحضر الحفلة غبطة السيد يوسف بطرس الخازن بطريرك الموارنة

وقبل ان يتفرّق آباء المجمع حرّضهم القاصد الرسولي ان يسنّوا قوانين لنظام الطائفة فرتّبوا شيئاً منها غير ان الكرسي الرسولي لم يؤيدها (٢ وبعد ان قضى السيد سمحيري زهاء ستة اشهر في دير الشرفة انطلق الى عاصمة الكثلكة ليُشحّ بدوع التثبيت واستصحب القس يوحنا معمار باشي تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير بعد ان رسمه كاهناً في ٢٣ نيسان سنة ١٨٥٤ وخصّهُ بكتابة اسراره

ولمّا ان بلغ البطريرك الى رومية وزار الكردينال فرنسوني رئيس المجمع المقدس سار به بعزّ وترحاب الى القصر البابوي تتحفّى به الحبر الاعظم مار بيوس التاسع وفي ٢ تموز اقام حفلة تأييده ورشّحه الاب الاقدس بالپاليوم (٣. وتناول الطعام على

---

١) راجع الزهرة الزكيّة في البطريركيّة السريانيّة ص ١٠٣ و١٠٤

٢) من جملة القوانين التي احدثها الاباء في ذلك المجمع: الناء رتبة القدّاس الاولى والثانية وابطال استعمال المبخرة في القدّاس. وقراءة بداءة انجيل يوحنا في نهاية القداس واستعمال البدلة اللاتينيّة بدل البدلة السريانيّة والبرشانة اللاتينيّة بدل السريانيّة الى غير ذلك من القوانين. ولمّا ان كُتبت بالسريانيّة وقع عليها الاساقفة والمؤرخ جرجس شاحت ايضاً بختومهم. ثم نُقلت الى اللاتينيّة ببعض التحوير وأرسلت الى رئيس المجمع المقدّس. ولمّا عاد البطريرك انطون سمحيري الى رومية سنة ١٨٥٦ وزار قداسة الحبر الاعظم والكردينال برنابو قال لهُ الكردينال: أتقبل بكلّ ما رسم الاساقفة في مجمع الشرفة سنة ١٨٥٦؟ قال البطريرك: اقبل بما كُتب فيه باللغة العربيّة لا باللغة اللاتينيّة. وبالتالي اعلن البطريرك ان التمسُّك بالطقس السرياني في كليّاته وجزئيّاته أولى وانفع. فألغيت تلك القوانين ولم يُبنَ بها. وهذا كلُّهُ رواهُ لنا السيد يوحنا معمار باشي الجليل ترجمان غبطته اذ ذاك. ومن ثم فلا صحّة لما رواه البعض من ان غبطة البطريرك انطون سمحيري رام ان يُحدث في الطقس السرياني شيئاً من الطقس اللاتيني. وقد بلغنا منذ سنين ان تلك القوانين نُشرت كلُّها في باريس. ويوجد منها نسخ في ماردين وديار بكر وحلب وغيرها ٣) وقد نُشرت تفاصيل هذه الحفلة في مجموعة اعمال مجمع انتشار الايمان (R. de Martinis: *Juris Pontificii de Prop. Fide*, VI', p. 229)

ماندته وأيد ما كان قرّره في مجمع الكرادلة سنة ١٨٥٢ اعني ان تكون ماردين مقرًّا للكرسي الانطاكي وأتحفهُ بكأس وصينيَّة من الذهب الخالص

وما عتم ان ظعن البطريرك الى بلاد اوربة وتوغّل في فرنسة وبلجيكة وهولندة فانثالت عليهِ الصلات وتوالت عليهِ الحسنات من أيمة الدين الكاثوليكي وصنّفوا لهُ القصائد المحبّرة والتقاريظ البديعة بلغات شتى اودعوها شواعر محبّتهم واجلالهم للسيد البطريرك وقد طالعنا تلك التقاريظ وأعجبنا بها وهي مصونة باكرام بين اوراق السيد يوحنا معمار باشي. واقتبس البطريرك حظوة لدى نابليون الثالث ملك فرنسة واحتفى بهِ احتفاء وسيماً وشمله بالتحف الفاخرة منها صليبٌ نفيس محفوظ في الكنيسة الكاتدرائيَّة بماردين الى يمينه رأية مكتوب تحتها اسم انطاكية وباريس والى يساره رأية اخرى مكتوب تحتها اسم سوريا وفرنسة وفي اسفلهِ هذه العبارة : « الى السيد سحيري — نابليون . اوجيني » كلّ ذلك باللغة الفرنسية . وحصل البطريرك المغبوط على شيء كثير من الخلع الفاخرة والهدايا الثمينة والامتعة البيعيَّة والاثاث الكنسيَّة والاواني الفضيَّة والذهبية والحلل الحبرية والكهنوتيَّة اغلبها توافق الطقس اللاتيني. ثم ان وزير الخارجيَّة في فرنسة أسنى لهُ قلنسوة فاخرة اتّشح بها في رحلته وفي عودته الى الشرق ووقت الحفلات والمواسم

وجرت على يدهِ امور عجيبة لدى تجوالهِ في تلك الاصقاع نقلها لنا السيد يوحنا معمار باشي. منها انهُ تعهد في ٦ حزيران سنة ١٨٥٥ ديرًا للراهبات في ابرشيَّة روان وكانت احداهنَّ طريحة الفراش منذ ثمانية اشهر فعادها البطريرك وصلّى عليها وبعد هنيهة نهضت من سريرها وسارعت اليهِ وقبلت يديهِ شاكرةً. ومنها انهُ لمّا زار دير راهبات المحبَّة في دونكرك في ١٥ ايلول سنة ١٨٥٥ ألفى عندهنَّ راهبة رجلها مكسورة فصلّى عليها بخشوع فقامت الراهبة مستوية وشكرت لهُ واستأنفت خدمتها. ومنها انهُ لمّا كان في ليدن من حواضر هولندة وكان ابن حاكمها طريح الفراش مصاباً بداء السلّ صلّى عليهِ البطريرك واثقاً بان الله عزّ شأنهُ ينيلهُ البرء التامّ. وبعد يومين نهض الشاب من فراشه وبادر الى السيد البطريرك شاكرًا وكان ذلك في ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٥٥

ومنها انهُ لما واجه اوجيني الملكة قرينة نابليون الثالث امبراطور الفرنسيس

سألتهُ ان يصلي الى الله في شأنها ليرزقها ولدًا فاستحضر البطريرك ماء وصلى عليه وباركه بالصليب وقال لها: اشربي هذا الماء فتحبلين بإذن الله وسيكون لكِ ولد. فكان كما قال وولدت اوجيني ولدًا بعد تسعة اشهر (١٨٥٦) سمتهُ اوجان لويس وهو الذي قُتل في جنوبي افريقية سنة ١٨٧٩. ولم يحضر البطريرك حفلة العماد كما توهَّم البعض

ونضيف الى ذلك حادثًا جرى للسيد انطون سمحيري لما كان مطرانًا اذ كان اليعاقبة يبذلون لهُ الغوائل ويتحينون لهُ المكايد وذلك انهم دفعوا للحاج خليل داور الشكري ثمانمائة غرش ليذهب تحت الليل ويفتك بالسيد سمحيري فدلَّوهُ من السطح فدخل من نافذة الغرفة التي كان يرقد فيها المطران وانتضى خنجرهُ ليطعنهُ فاذا بيمينهِ قد يبست فاذهل الحاج خليل وبيساره ايقظ المطران مذعورًا وقال لهُ: ان اعداءك لرسلوني للايقاع بك وها ان يميني قد يبست كما ترى. فنهض المطران وصلى فعادت يمينه وخرج من عندهُ متعجبًا. وهذهِ الحادثة رواها لنا بعض اهل ماردين الذين اطَّلعوا عليها

ثم ان البطريرك رجع تكرارًا الى باريس فقلده نابليون الملك وسام جوقة الشرف وشيعهُ باكرام فعاد الى رومية وزار قداسة الحبر الاعظم والكردينال برنابو ثم قفل الى دير الشرفة واستكتب موجوداتهِ كلها ونظم شؤونهُ وغادرهُ الى الشام فالتبك فحمص فحماة فحلب ولاقى اعزازًا وشرفًا وسيما في حلَّهِ وترحالهِ

ولما تطاير خبر شخوصهِ الى ماردين ضجَّ اهاليها لاستقباله فدخلها بموكب عظيم لابسًا التلنسوة التي اتحفهُ بها وزير الخارجيَّة في فرنسا كما قدمنا وتعزَّى الكاثوليك وانفرجت عنهم كروبهم السابقة. وفي ٨ نيسان سنة ١٨٥٧ وافاه الفرمان الشاهاني من لدن الباب العالي تأييدًا لبطريركيَّتهِ. ولمَّا اطمأنَّ البطريرك في ابرشيتهِ طفق يجدُّ في رفع شؤونها والذبّ عنها بكل غيرة ونشاط واخذ في بناء كنيستها الكاتدرائيَّة على اسم الحبل بالعذراء بلا دنس وكان اغلب شبان السريان الكاثوليك يشتغلون فيها مجَّانًا. ثم ابتنى دارًا بطريركيَّة وغرفًا للقسَّان والخوارنة ومدرسة للاقليروس والفتيان ولبتاع دورًا وقفها للكنيسة واشترى بستانًا في باسبانس في عهد مطرانيَّتهِ. وسنة ١٨٦٣ اشترى ارضًا فسيحة في غربي المدينة وفيها شُيِّد بعد وفاتهِ ديرٌ للرهبان

الافرامين وقد نشرنا تاريخهُ على صفحات المشرق سنة ١٩٠٩ [١٢ : ٧٦٥]

وفي سادس تشرين الاوّل سنة ١٨٥٨ سار البطريرك الى الموصل ودخلها بحفاوة واكرام واجتمع بابنائهِ وفرّض اليهم ان ينتخبوا قسًّا جديرًا ليرسلهُ مطرانًا عليهم وعرض ذلك على جماعة قرقوش ليشتركوا في الانتخاب فوقع اختيارهم على القس بهنام بني فرقّاه البطريرك الى رتبة خورفسقس وسمح لهُ ان يلبس التاج والصليب ويبارك بهِ الشعب. ثم انهُ اجزل للمتواصلة ثمانين الف غرش لتشييد كنيستين كبيرتين احداها على اسم العذراء الطاهرة والاخرى على اسم توما رسول الهند. وفي خامس ايار سنة ١٨٥٩ قفل راجعاً الى ماردين بأمين طاز. واستحضر القس روفائيل جرجي من بغداد ورسمهُ خوريًا وأجدى عليهِ بمبلغ امرهُ ان يشتري بهِ ارضاً كافيةً في بغداد لبناء كنيسة. فاخذ المبلغ وعاد الى رسالتهِ شاكرًا

وعام ١٨٦٠ في ١٤ آب كرّس البطريرك كنيسة ماردين بحفلة شائقة وكانت غاصّة بالجماهير والفرح يشمل افئدتهم. ولم يتمالك «ايليًا كدا» وجيه الطائفة ان يهتف ويقول: «اطلق يارب عبدك بسلام فانَّ عينيَّ ابصرتا خلاصك». فبكى وابكى جميع الحضور. ورُوي عن الشمّاس حنّا دوقاق انهُ كان يبكي ويقول: «كنّا نتحسّر ونتمنّى ان نحصل على قسّ ولو اعرج. امّا الان فنشكر الله على مواهبهِ»

وفي شباط سنة ١٨٦٢ استقدم اليهِ الخوري بهنام بني ورقّاه الى كرسي مطرانيّة الموصل في ٩ آذار وسمّاه قرلس بهنام وهو بكر المطارنة الذين رسمهم وجاد عليهِ بمبلغ وافر لانجاز بناء كنيستَي الموصل الفخيمتين. وبعد هذا اوفد البطريرك المغبوط الى وجهاء حلب ليصطفوا لهم مطراناً فاتفقوا في ٢ كانون الثاني سنة ١٨٦١ على انتخاب الخوري جرجس شلحت وارسلوا الى البطريرك رقعة الانتخاب موقعة بامضاء المطران يوسف حانك وثمانية كهنة ومائة وثمانين من وجهاء الطائفة واعيانها. وفي ١٨ ايار سنة ١٨٦٢ استدعاه البطريرك الى ماردين واستودع اليهِ عصا رعاية الابرشيّة الحلبيّة وسمّاهُ ديونسيوس جرجس فقضى اسبوعاً في ماردين وقفل راجعاً الى ابرشيّتهِ

ثم ارسل البطريرك فاستحضر الخوري روفائيل جرجي من بغداد والخوري فيلبس عركوس من ديار بكر وقلّد الاوّل رعاية الابرشيّة البغداديّة وسمّاه اثناسيوس

وسقف الثاني على ديار بكر وسماه يوليوس فيلبس وبرت حفلة رسامتهما في ٢٨ ايلول سنة ١٨٦٢ وعاد كل منهما واستلم زمام ابرشيته

ولما كانت الذمة الالهية قد قضت لهذا البطريرك المغبوط بالعز والنجاح بعد اليؤس والكفاح جزاء لصلاحه ومكافأة لمشقاته ألهمت بعض اساقفة اليعاقبة ان يهتدوا الى الايمان الكاثوليكي المقدس في عهده مع جم غفير منهم السيد ارسطائيوس افرام تكمجي مطران خربوط وتوابعها فانه جاهر بالكثلكة سنة ١٨٦٣ وحافظ عليها حتى منتهى حياته وولاه البطريرك رعاية بوجاق وخربوط وحصن منصور ومنهم السيد ايوانيس ايليا ابن القس نعمه عتمه الذي خصه البطريرك بامور التلأية باردين . ومنهم نفر صالح انتموا الى الكثلكة في زيدل بمساعي السيد يعقوب حلياني . ومنهم قسم آخر في الجزيرة وآزخ وطور عبدين . وفي ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٦٣ نصب القس يوسف بن عبد المسيح متاح الماردين مطراناً على جزيرة ابن عمر ودعاه فيليانس بطرس . وكان غبطته يرفد الابرشيات ويعضدها بالمال لابتناء الكنائس وبالكهنة لانشاء المدارس وعلى هذا الاسلوب أفلحت الطائفة ونجحت وارتاشت حالها واصطلحت وثابت اليها بهجتها وعاد اليها مجدها السابق . ومن ثم فسلسلة حياته الحسنة المسبوكة في قالب الحسرات والزفرات صيغ منها اخيراً سلسلة ذهبية طوقت بها الطائفة السريانية جيدها العاطل وغدت تتباهى بها على توالي الايام وتتفاخر بها سائر الأمم

وقد قدر الكرسي الرسولي اعماله الرسولية واثنى مراراً على همته . وفي مجموعة براءات مجمع انتشار الايمان المقدس ثلث رسالات للطيب الذكر البابا بيوس التاسع كتبها الى السيد انطون سحيري في السنوات ١٨٥٤ و١٨٥٨ و١٨٦٢ يشكر فيها همته ويثني على غيرته في رد اليعاقبة الى الايمان وصبره الجميل على الاضطهادات ويعزيه في محنه بذكر الجزاء العظيم الذي ينتظره لدى الرب لحسن جهاده

٤ وفاة البطريرك انطون سحيري

وما كاد البطريرك المغبوط يتمتع بثمرة اتعابه ويستريح من اوصابه حتى أصيب بداء الفالج في ديار بكر فحمل الى ماردين وتجرع غصص الاوجاع بوجه

طلق وثغر بسّام شاكرًا للرب الذي ابتلاه عربونًا لمحبته اياه. ولبث على تلك الحال حتى ١٥ حزيران فاعترف وتناول الاسرار ومُسح بزيت المرضى وفي ١٦ حزيران سنة ١٨٦٤ لفظ روحهُ بيد خالقها وهو يقول « يا عذراء » فاجتمع الاساقفة والكهنة ولفيف الشعب الى الكنيسة الكاتدرائيّة وأقاموا لهُ مأتمًا حافلًا وتوجّد لهُ جمهور الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة في جميع البلدان. وألطافوا بجثمانهِ في كنيستهِ ارتفعت الاصوات وانتحب عليهِ الكبير والصغير من نصارى ومسلمين وأُودع في الضريح المبيَّأ لهُ تحت مذبح القديس مار افرام: وفي غد وفاتهِ حضر من ديار بكر القس لويس صابونجي وابنهُ تأبينًا بليغًا استنزل العبرات واقيمت لهُ الجنّازات الحافلة في كنيستي الارمن والكلدان وأبنهُ تكرارًا السيد اغناطيوس دشتو مطران الكلدان وعدد اوصافهُ وشدائده وافاض في ذكر مبرّاتهِ ومحاسنهِ. وكان رحمهُ الله إمامًا جليلًا ومقداماً باسلًا عالي الشان غزير الكارم حاو الشمائل واسع النظر يتفكر في عواقب الامور ويُعمل الرويّة في تقلباتها. وخصَّهُ الله بصوت رخيم يفتن الاسماع ويطرب الالباب وذكر ابن حسنه معاصره (١ في تاريخ سنة ١٨٢٨ (ص ٣١) قال « انهُ مساء يوم الجمعة العظيمة لما كان مطرانا الارمن يوياقيم وابراهيم ومطارنة السريان انطون وعيسى ومخائيل يوحانا (مطران الموصل) يطوفون مع القسان والشعب بالنعش في كنيسة سورب كيورك (مار جرجس) ابتدأ المطران انطون التعديد الذي عددت مريم العذراء على ابنها يسوع وهو: « تحت الصليب تبكي العذراء بنحيب الخ » وطال التعديد مقدار ساعة فبكى الرجال والنساء معاً لان صوتهُ كان شجيًا جدًا »

واتصف السيد سحيري المغبوط بمحبتهِ المضطرمة للعذراء مريم فانهُ شاد على اسمها المبارك كنائس شتّى في الموصل وماردين وبغداد. وكان في اواخر عمرهِ يجتمع كل ليلة بالكهنة ويتلو معهم السبحة الورديّة قبل الرقاد. ورتّم على ضريحهِ نظم من تأليف السيد ثيوفيلوس انطون قندلفت † ١٨٩٨ اليك نصّه:

---

١) لابن حسنه تواريخ في حوادث ماردين وضواحيها منذ عام ١٢٠٥هـ — ١٧٩٠ م الى سنة ١٨٣٥ وهي قيّمة دينيّة ومدنيّة

ذا لحدُ حبر قد سما بكماله وقفى نضيلًا واهتدى بسيحهِ
بطريك انطون بن سحيري الذي حاز الثناء بفوزه وفتوحهِ
يبكيك ناظمه ابنك الفاني بدمعٍ قد حكى طوفانَ نوحَ بنوحهِ
يا خير حبر قلت تاريخًا به يا مؤمنون تبرَّكوا بضريحهِ

على ان الطائفة السريانيَّة ولاسيَّما الماردينيَّة لم تكن تتناسى اعمالهُ الرسوليَّة وتغضّ عن مبرَّاتهِ الوافرة ومشاريعهِ الخيريَّة. بل رامت ان تقيم الحفلات الشائقة تذكارًا لوفاتهِ مذ خمسين سنة وتخليدًا لذكرهِ الطيّب الذي لا تزال رياه فائحة في جميع الاقطاع. ولا جرم ان سجونهُ واشجانهُ غدت كشجرةٍ باسقة اينعت ثمارًا شهيَّة لذَّذت القلوب وانعشت النفوس. وكشفت عن الامة السريانيَّة برقع الكدر واليأس. وباتت تتوقع من المراحم الالهيَّة ان تُرجع الخراف الضالَّة المتسكعة في البعوبيَّة الى الحظيرة البطرسيَّة. اللهمَّ حقق الآمال وارفع شأن بيعتك المقدَّسة واجعل الرعيَّة واحدة خاضعة لرئيس واحد بحولك اللهمَّ آمين

الغاية تقدّس الواسطة

انتقاد هذا المبدأ المنسوب الى اليسوعيين

للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب الينا احد قرَّائنا من زحلة: كثيرًا ما قرأت في الجرائد المادية لليسوعيين ذكر هذه الكلمة « الغاية تقدس الواسطة » فلم ادرك قصدهم بها. فارجوكم ان تبيّنوا لنا في صفحات مجلَّتكم الغرَّاء ما معنى هذه الفقرة وهل هي حقيقةٌ من تعاليم اليسوعيين »

(الشرق) هي كلمةٌ دارت على السنة اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة يزمّرون بها ويطبّلون فاذا نطقوا بها ظنُّوا انهم أخذوا ابناء القديس اغناطيوس وارجفوا فرائصهم لما تتضمَّنهُ من المخازي وتكتسهُ من المشاين الكافية لتسويد الوجوه وفضح الاعراض. وقد اخذ منذ بضع سنوات غوغاء كتبة الشرق يرددونهُ كالببغاء استنادًا الى اسافل كتبة الغرب. فوجدناهُ في بعض جرائد مصر والشام واميركة وكررتهُ آخرًا جريدة بولس افندي الكفوري وعجّة الكلمة وها نحن تلبيةً لدعوة